

بل كانت هذه الفترة هي أكبر دليل على إن آراء المصريين وأد اختلافت وتباعدت سياسياً واجتماعياً ، إلا أنها قادرة على التلاحم والتكاتف - داخلياً وخارجياً في المواقف التي لا خلاف على مضمونها أو تفصيلاتها ، وهو الدليل الذي دحض آراء الدين يرون استمرار فرض الوصاية على فكر الشعب واتهامه بأنه شعب جاهل في مجموعه ولم يبلغ بعد درحة النضج السياسي الذي يباشر فيه حكم نفسه بنفسه ، في نطاق ديمقراطي ، وفي ظل صحافة حرة مستكملة لكل مقومات وجودها وكيانها .

إلا أنه . يمكن ممكناً للبعض منا بعد التجربتين السابقتين - وللذين ذاقوا مرارتها وعرفوا خباياها - مع عبد الناصر والسادات - المضي مرة أخرى في مسيرة بدايتها براقه ، وختامها هو عودة إلى الماضي بكل آلامه ومآسيه ، إنما كان من الضروري أن نتعلم ، أن نمضي كصحافة في إعداد المناخ المناسب وتهيئة المسرح السياسي الواسع لإخراج ملحمة التغيير الجذري في كل أوضاعنا السياسية . ولم يكن هذا في رأينا خروجاً على اتفاق متبادل بينا وبين الرئيس لتهيئة الجو لرسوخ الوحدة الداخلية في مواجهة مطامع المستعمر الإسرائيلي ، أو أنها قد تتخذ - في ذات الوقت - ذريعة من جانب إسرائيل لعرقلة الجلاء - كما كان يتردد بين الوقت والآخر - ولو كان الأمر كذلك لكان معناه أن الجلاء مشروط هنا بشروط هي في ذاتها دليل على فقداننا للإستقلال الداخلي كضمن للجلاء ، وهو التصور الذي لم أكن مستعداً لافتراضه على الإطلاق لثقتي في ان وطنية الرئيس محمد حسنى مبارك هي فوق الشبهات وفوق كل الشكوك ، بل كنت أحس بأنه يفضل الإقدام على المواجهة مع إسرائيل عن أن يفرط في استقلال مصر واحترامها لكيانها الداخلي . وهذا ما فعله عند ما هاجمت إسرائيل لبنان .

إن الذين كانوا يطالبون بالتغيير ، لم يكونوا يطالبون بأن يتم فوراً غير أنهم لم يكونوا على إستعداد للمضي في تأييد الرئيس مبارك تأييداً أعمى ارتكازاً على حسن نواياه .. لقد كنا جميعاً مستعدين للحفاظ على الوحدة الداخلية المتأسكة حتى يتم الجلاء الإسرائيلي بغير تنفيذ فوري للهدف . الداخلية ، ولكن كان علينا - في الوقت ذاته للإستفادة من تجارب الماضي - أن نحدد من الآن نوعية المناخ السياسي الداخلي ونمضي في رسم معالم الخريطة السياسية الداخلية بحيث يعرف كل ساكن في وطننا المصرى حدوده في ظل النظام الديمقراطي السليم .

وكنت أؤمن في قرارة نفسي بأن مواجهة الرئيس محمد حسنى مبارك بهذه « الرغبات » الأولية والتمهيدية ستكون إحتباراً هاماً لعمق نواياه الطيبة التي كان يرددها بين الوقت والآخر ، وهل هي حقاً راسخة في نفسه ، أم أنه يتخذها معبراً عن الظروف الداخلية التي تعيشها مصر بعد حادث المنصة وإغتيال سلفه الرئيس محمد أنور السادات ؟ .

وبدا واضحاً أن الرئيس مبارك لم يعد مستعداً للتستر على خلافه مع الذين يطالبون بتهيئة الجو للتغيير الداخلي بمجرد أن تنتهى مصر من قضية الجلاء عن الأرض المحتلة . بل إنه